گوڤارا ئەکادیمی یا زانکویا نەوروز (المجلة الأكاديمية لجامعة نوروز)، پ.١ ژ.١، ٢٠٢٥
حقوق الطبع والنشر ©2017. هذه مقالة الوصول اليها مفتوح موزعة تحت رخصة المشاع الابداعي النسبي – CC BY-NC-ND 4. 0.، e-ISSN: 2520-789X
https://doi.org/10.25007/ajnu.v1n1a49

المرأةُ في شعرِ أبي الأسودِ الدُؤليّ

دحام سعدون عبدالعزيز، المديرية العامة لتربية، البصرة، العراق

المستخلص

احتلت المرأة مكانةً كبيرة في خريطة الشعر العربي عبر عصوره المختلفة، حيث سادت وشرُفت مكانتها، أما حياة الشاعر مع المرأة فكانت على صورتين بارزتين، هما الشكوى من المرأة ،والمرأة الحبيبة، فشكواه من المرأة تجسدت من خلاله بنية حوارية تثيرها المرأة اللائمة، مما جعله ينفر منها، والبحث عن المرأة الحبيبة، فهو ينظر للمرأة بعين الخصوصية، لا يعنيه الجسد وإن حمل عيوباً.

كلمات مفتاحية : المرأة، مكانة المرأة، أبو الأسود، الشكوى من المرأة،المرأة الحبيبة .

1المقدمة

احتلت المرأةُ مكانةً كبيرةً في خريطة الشعر العربي عبر عصوره المختلفة، حيث سادت وشرُفت مكانتها، ففي الشعر الجاهلي نراها صاحبة الخطاب الإجتماعي الذي يعبر عن مكانتها في المجتمع، لذا لمعت أسماءٌ كثيرةٌ ذوات المكانة الاجتماعية والمؤثرة في مجتمعهن آنذاك ومنهن (بلقيس ملكة سبأ، والزرقاء اليمامة، وصحرُ بنت النعمان، وأم الحارث ملك غسان، ...الخ)1،أما في الاسلام فلا نجدُ مجتمعاً عني بحقوق المرأة كالمجتمع الإسلامي، حيث خصها القرآن بقوانين عجزت القوانين الوضعية أنّ تضع لها مكانةً مثلما وضع لها الإسلام، فوضع قوانين للزواج وللطلاق وغيرها من القوانين التي تعلو من شأنها، ومن منطلق مكانة المرأة في المجتمع، فقد كانت صورة الشاعر الفنية التي يستقي منها صوره المستوحاة من حياته معها، فصور المديح والفخر والهجاء بهن تنوعت بأنواع الحياة العامة .

1-2الشاعر

هو أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل... شاعرٌ إسلاميّ ولد قبل البعثة وهو الأرجح أدرك حياة الرسول الكريم (ص) وأسلم، هاجر إلى البصرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وكان من المتحققين بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ومن مُحبيه، شهد معه الجَمل وصفين، واضع علم النحو ،وأول من أسس العربية، ونهج سُبُلها، كما تنقل كثير من الروايات، أما شاعريته فلا خلاف فيها لدى دارسي الأدب ونقاده، وقد صنع شعره كل من الأصمعي وأبي عمرو بن العلاء والسكري، وشعره كعادة شعراء عصره يومذاك دار حول مواضيع كثيرة ، الفخر والمديح والحماسة والشجاعة ...كانت لشعره مكانة جيدة عند جُماع الشعر في العصور الإسلامية الأولى، ولعل مصدر الاهتمام البالغ أنّه كان يمثل العصر الإسلامي خير تمثيل، لغةً لا يشبها معرب أو دخيل، قال عنه الجاحظ: أبو الأسود معدود في طبقات من الناس وهو مقدمٌ مأثورٌ في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والاشراف والفرسان والأمراء والدهاة والنحويين2، أما حياة الشاعر مع المرأة فمن خلال قراءتنا لديوانه وجدنا أن حظ الشاعر من المرأة متذبذب لا يثبت على شيء وهذا هو ديدن أغلب شعراء عصره، فهو يركز على صورتين بارزتين للمرأة، وهما الشكوى من المرأة والمرأة الحبيبة، لذا ارتأينا أن نقف عندها في مبحثين أثنين هما :

1-3المبحث الأول الشكوى من المرأة

لا شك أن أبا الأسود الدُؤلي شاعرٌ فذٌ، يعرف كيف ينتقي صورته الشعرية، فمن خلال الحوار مع أمرأته استطاع أنّ يخلق حواراً قائماً على الشكوى واللوم والعتاب في ما بين الرجل وأمرأته، ولشكواه من المرأة باعثين مهمين أولهما الباعث الذاتي: وهو احساسٌ يلجأ إليه الإنسان عند الشعور بالألم في داخله وعجز للوصول إليه3، وهذا ما نجده في شكوى الدُؤلي من المرأة التي ما لبثت تُنكد حياته حتى باءت محاولاته في اقناعها بالفشل، وثانيها الباعث الإجتماعي: وهي الأحداث والمواقف التي يمر بها الشاعر فتثير ألمه وتذكي وجعه4، وهذا ما نجده في تحول الشاعر إلى إمرأةٍ غير زوجته علّه أنّ يجد خلاصاً مما يمُر به، إذا علمنا أنّ تلك المرأة امرأةٌ لحوحةٌ ناكرةٌ لجميل زوجها، فيبدأ الحوار مع أمرأته (أم سكن) وقد ساءته بعض خليقتها5 واصفاً إياها بأنها امرأةٌ كثيرةُ الإعراض والتنكر لجميلهِ معها، عجولة في أمرها، غير صابرةٍ على كربها، موضحاً أنّ الكُرب وإن طالت ستمضي وتزول، ومن شدةِ سؤالها عنه أنّه مقيمٌ ببابها لا يغزو ولا يتغيب عنها، بعدها ينتقل الشاعر في وصف تلك الكُربة التي حلت بهم، كسحابةٍ سوداء عظيمة يُخاف مما تحمله، ولا يكادُ يزول الخوف منها إلى أنّ بدا الصباحُ وزال نجم الليل الأسود، ويسترسل أيضاً بوصف تلك الكُربة، فيصفها كالصحراءِ المُهلكةُ لكلِ شيءٍ، حتى أنّ القِطا يضيعُ فيها وتنقطع بها السُبل، ويكادُ سرابها –الصحراء- كسحابٍ منتصبٍ، وأنّها لمهلكةٌ لقوى القِطا، ومازال الشاعر ينتقل بنا من صورةٍ شعرية إلى صورةٍ شعريةٍ أخرى مبيناً أنّ تلك الصحراء المُهلكة قد أهلكت تلك الناقة التي تشقُ طريقها في وسطها، ومن شدةِ تعبها يسقطُ المتاعُ من فوقها، فيردفها سائقها فيحمله، ولكنها نجيبةٌ يعزُّ عليها أنّ يعاملها سائقها بعنفٍ فهي لا تحتاج لسوطٍ وإنّما تعبُ الصحراء اهلكها، فهي عطوفةٌ تنظرُ لسائقها نظرت الأم لولدها، في طريقٍ رملةٍ وحجارةٍ ممدودةٍ لا تقدر أنّ تنحرفُ عنها، كأنّ في الطريق(مصاصات الأسود) أي: الأماكن التي تمرغ فيها فتصبحُ صُلبة لا تكادُ تطأها برجليها، سالكةً ذاك الطريق الأدلج (الأظلم) الذي لا يُعرف غيبه لكثرة سواده، متجاوزةً لذاك الطريق غير هيابةً ما يحملهُ من خطرٍ، بعد ذلك يختم تلك المخاوف والمهالك التي مرت على القِطا والناقة، بانكشافها فلذلك الأمرُ الجلل ربٌ كريمٌ حليمٌ، فالاعتمادُ عليه حق الاعتماد يزيل الهموم كما تزيل الأمطار ثقل السحابة الأسود المُخوِف، فيقول:

أَلا تِلكَ عِرسي أُمُّ سَكنٍ تَنَكَّرت خَلائِقُها لي والخُطوبُ تَقَلَّبُ

تَعَرَّضُ أَحياناً وَأَزعُمُ أَنَّها تُحَوِّطُ أَمراً عِندَهُ تَتَقَرَّبُ

فَقُلتُ لَها لا تَعجَلي كُلُّ كُرَبَةٍ سَتَمضي وَلَو دامَت قَليلاً فَتَذهَبُ

فَإِمّا تَرَيني لا أَرِيمُكِ قاعِداً لَدى البابِ لا أَغزو وَلا أَتَغَيَّبُ

فَإِنَّكِ لا تَدرينَ أَن رُبَّ سَربَخٍ دِقاقُ الحَصى مِنهُ رِمالٌ وَسَبسَبُ

أَقَمتُ الهَدى فيهِ إِذا المَرءُ غَمَّهُ سَقيطُ النَدى وَالنّاخِنُ المُتَحَلِّبُ

إِلى أَن بَدا فَجرُ الصَباحِ وَنَجمُهُ وَزالَ سَوادُ اللَيلِ عَمّا يُغَيِّبُ

وَصَحراءَ سِختيتٍ يَحارُ بِها القَطا وَيَرتَدُّ فيها الطَرفُ أَو يَتَقَضَّبُ

قطعتُ إِذا كانَ السَرابُ كَأَنَّهُ سَحابٌ عَلى أَعجازِهِ مُتَنَصِّبُ

عَلى ذاتِ لَوثٍ تَجعَلُ الوَضعَ مَشيَها كَما انقَضَّ عَيرُ الصَخرَةِ المُتَرَقِّبُ

تَراها إِذا ما استَحمَلَ القَومُ بَعضَهُم عَلَيها مَتاعٌ لِلرَّديفِ وَمَركِبُ

وَتُصبِحُ عَن غَبِّ السُرى وَكَأَنَّها إِذا ضُرِبَ الأَقصى مِنَ الرَكبِ تُضرَبُ

كَأَنَّ لَها رَأماً تَراهُ أَمامَها مَدى العَينِ تُستَهوى إِلَيهِ وَتَذهَبُ

وَخَلٍّ مَخُوفٍ بَينَ ضِرسٍ وَغابَةٍ أَلَفَّ مَضيقٍ لَيسَ عَنهُ مُجَنَّبُ

كَأَنَّ مَصاماتِ الأُسودِ بِبَطنِهِ مَراغٌ وَآثارُ الأَراجيلِ ملعَبُ

سَلَكتُ إِذا ما جَنَّ ثَغرَ طَريقِهِ أَغَمُّ دَجوجِيٌّ مِنَ اللَيلِ غَيهَبُ

بِذي هَبَراتٍ أَو بِأَبيَضَ مُرهَفٍ سَقاهُ السِمامَ الهِندِكِيُّ المُخَرَّبُ

تَجاوَزتُهُ يَمشي بِرُكنَيَ مِخشَفٍ كَسيدِ الفِضا سِر بالُهُ مُتَجَوِّبُ

كَريمٌ حَليمٌ لا يُخافُ أَذاتُهُ وَلا جَهلُهُ فيما يَجِدُّ وَيَلعَبُ

إِذا قُلتُ قَد أَغضَبتُهُ عادَ وُدُّهُ كَما عادَ وُدُّ الزَيَّةِ المُتَثَوِّبُ

وَكانَ إِذا ما يَلتَقي القَومَ قَرنُهُ كَما عَادَ وُدُّ الزَيَّةِ المُتَثَوِّبُ[6]

نستنتجُ من هذه الشكوى والحوار أمورٍ عدةٍ

1- إن كان للمرأة حقٌ أنّ تختار شريك حياتها، فمن حقها أنّ تراقب أفعاله وتصرفاته، فهي ميزاناً من موازين الاستقامة ترى في الرجل ما يراه وما لا يراه، وتسعى لتقويم ما اعوج من خلقه وعمله[7]، لا سيما أنّ هذا الشيء يغضب الرجل ويزعجه كثيراً في وقت تراه المرأة حقاً من حقوقها .

2- استخدام الشاعر القصة بالوصف الدرامي المتمثل في صراع القطا والناقة مع قساوة الصحراء من أجل البقاء، وإنّ توظيفه للقطا والناقة في حواره مع أمرأته من خلال صورة فنية هي سُنةٌ اعتاد عليها الشعراء في تعبيرهم عن احاسيسهم ومشاعرهم وتصويرهم للكون ونواميسه، فكانت القطا والناقة وسيلتاه الفنية للتعبير عن ذاته ورؤاه تجاه الحياة[8] .

3- الجمع بين القطا والناقة من خلال علاقة تشابه، فسرعة الناقة مقرونة بسرعة القطا، ولا نرى هذا التشابه إلا قناع يتوارى خلفه الشاعر لإفراغ طاقةٍ كبيرةٍ لديه من المشاعر المماثلة[9] .

4- ثمة معادل موضوعي[10] بين امرأة الشاعر من جهة والقطا والناقة من جهة أخرى، بمعنى أنه أنشأ موضوعاً جديداً -صراع القطا والناقة مع قساوة الصحراء- تعرف منه أنه ليس المقصود، بل موضوع آخر، يحاول أن يشير عليك بأن تنظر إليه.

وينتقل أبو الأسود الدُؤلي إلى صورةٍ جديدةٍ يبين فيها أخلاق أمرأته (أم سكن)، ويبدو في هذه المرة يبوح بأشياءٍ جديدةٍ عنها مبيناً شدة كره لها فقد وصل بها الحدّ أنها تتجسس عليه وهذه أقبح صفة في الأنسان، إضافةً إلى بعض الصفات الخُلقية التي تعيبها، ولا شك أن ما يكابده الشاعر من ألم نفسي تجاه هذه المرأة هو ((معاناة تبدأ بوقوع الرجل في أسر المرأة وكأنه هدفٌ لها في حين أن الرجل هو الباحث عنها في الشعر إلا أنّ تصوير موقعه فريسة يعكس حس الشاعر بأنّه رهن قوى خفية تتجاوز قوته ربّما هي قوة الرغبة في الحياة والوجود))[11] ومن ذلك يتخذ من الشعر محرباً يهربُ من أسرها بطريقة التشهير بمعايبها وشدةِ إهمالها لنفسها، فيقول :

تَحَسَّسُ عَنّي أُمُّ سَكنٍ وَأَهوَنُ الش شَكاةِ شِفاءً ظِنَّةُ المُتَحَسِّسِ

وَلَيسَت بِوَكّاءِ الصِدارِ إِذا مَشَت تَوَكَّنُ مَشيَ الكَودَنِ المُتَحَبِّسِ

لَها وَلَجَةٌ في كُلِّ بَيتٍ وَخَرجَةٌ تَحَكُّكَ جَنبِ الأَجرَبِ المُتَمَرِّسِ

وَلَكِنَّها زَهواءُ جُمٌّ عِظامُها كَحُقَّيَّةِ الرَيطِ الَّتي لَم تُدَنَّسِ

مِنَ المُمسِكاتِ لا تُرى غَيرَ أَنَّهُ مَتّى حانَ يَوماً زينَةُ الناسِ تَلبَسِ[12]

وبعد أم سكن أم عوف، فقد كانت لها مكانةٌ عنده، إلا أنها تغيرت بعدما تزوج الدُؤلي، فعابت عليه صنيعه هذا ورمته بالخرف[13]، فوقع قولها موقعه في قلب أبي الأسود، فصب نار غضبه عليها ببيتين كانت كالنار اللاذعة التي تلذع دون شعورٍ بها، موصفاً إياها بالعجوز ومن يحب عجوزاً يفنى، فهي كالثوب اليماني القديم البالي الذي لا يستر شيءٍ، وبذلك يقول :

أَبي القَلبُ إِلّا أُمَّ عَوفٍ وَحُبَّها عَجوزاً وَمَن يَحبِب عَجوزاً يُفَنَّدِ

كَسَحقِ اليَماني قَد تَقادَمَ عَهدُهُ وَجِدَّتُهُ ما شِئتَ في العَينِ واليَدِ[14]

وسبب الشكوى يكون أيضاً بسبب كبر السن فالشبابُ يستهوي النساء ثم المال والغنى ومن ذلك كان لأبي الأسود امرأةً يقال لها (فاطمة)، فلما دخل في السن أنكرته وبدا له منها جفاء فقال يعاتبها[15] بحالةِ حزنٍ ينتابها عتاب مبدوء برقة النداء المرخم، وقد تبدت شكواه منها في توظيفه لمعانٍ عدةٍ(أفاطمُ مهلاً، تنقضي العهد، ولا أنا نوام بغير معرس) فانقلبت عليه بعدما انقلب به الزمن وقلَّ وصالها له, والتوت نفسيتها عنه، وأنقضتْ عهدها عنه، بعد أن كان ذا نعمةٍ وكل معرسه لها ، وبذلك يقول :

أَفاطِمَ مَهلاً بَعضَ هَذا التَعَبُّسِ وَإِن كانَ مِنكَ الجِدُّ بِالصَرمِ فايأسي

تَشَمَّ لي لَمّا رَأَتني أُجِبُّها كَذي نِعمَةٍ لَم يُبدِها غَيرَ أَبؤُسِ

وَإِن تَنقُضي العَهدَ الَّذي كانَ بَينَنا وَتُبدي بِباقي وُدِّكِ المُتَخَلَّسِ

فَإِنّي فَلا يَغرُركِ مِنّي تَجَمُّلي لَأَسلى الحُبابَ بِالجِنابِ المُكَبَّسِ

وَأَعلَمُ أَنَّ الأَرضَ فيها مَنادِحٌ لِمَن كانَ لَم تُسدَد عَليهِ بِمَحبِسِ

إِذا التَأَنُّ الداني الَّذي مَلَّ أَهلَهُ تَقَتَهُ الأُمورُ بِالرَعِيشِ المُلَبَّسِ

وَكُنتُ امرءً لا صُحبَةَ الصِدقِ أَجتَوي وَلا أَنا تَوّامٌ بِغَيرِ مُعَرَّسِ[16]

ولا يزالُ الدُؤلي يبثُ ألمه وشكواه من المرأة نفسها، فيرسم صورةً للمرأة اللائمة شبيهةً بالمرأة العاذلة متخذةً أساليب عدة من أجل الحرص على الرجل وماله وعياله، لكن الطبيعة التي فُطِرَ عليها الرجل أنّه ينفر من المرأة العاذلة، فيعد كثرة العذل واللوم عيباً فيها؛ لأنّها تقيد حريته17، فيقول لها عندما بدت غيرتها من جارية اشترها منكرةً عليه تلذذه بالنساء وترك أهله وعياله، مذكراً إياها بأن تكف عنه اللوم، فأن لنفسه حقٌ عليه، وأنْ لا تخاف فقراً بعد أن اتهمته تحمّل على نفسه ديّناً، فكانت كالعدا الذين حفروا واعدوا له العدة كي يلقونه في بئر، وامست كالأهل الذين يزعمون حبه وهم يتمنون فراقه، وبذلك يقول:

أَفاطِمَ مَهلاً بَعضَ لَومي فَإِنَّما أُمَتِّعُ نَفساً قَد أُحِمَّ انطِلاقيا

تَقولُ حَمَلتَ الدينَ عَيناً وَعامِداً تَعَجَّلتُ مالي وَادَّكَرتُ خِلافيا

فَإِن كُنتِ إِبقاءَ أَرَدتِ فَأَقصِري عَلَيكِ العَنا تَبقينَ ما كانَ باقيا

أَفاطِمَ ما تُغنينَ فيما يَنوبُني إِذا صَعَّدَت حَتّى تَمَسَّ التَراقِيا

وَقَد أَرسَلوا فُرّاطَهُم فَتَأَثَّلوا قَليباً نَزوعاً لا تَبُلُّ العَراقِيا

وَأَمسى الأُلى كانوا يُحِبُّونَ صُحبَتي أَحَبّوا وَلَم أُذنب إِلَيهِم فِراقيا[18]

ومن مثل قوله هذا يقول فيها أيضاً:

أَفاطِمَ مَهلاً بَعضَ لَومي وَأَحقادي وَلا تَعجَلي إِنَّ الصَحابَةَ كالزادِ

يُخَفَّفُ مِنهُ كُلَّما حُلَّ مَنزِلٌ وَلا يُنتَهى عَن بَعضِهِ دونَ إِنفادِ

أَفاطِمَ وَالمُستَعجِلُ البَينَ كالَّذي يُنادي بِإِدلاجٍ وَصاحِبُهُ غادى

فَإِنَّكِ إِن لا تَعجَلي اليَومَ تَظفَري بِحَظِّكِ مِنهُ في جَمالٍ وَإِسدادِ

وَإِنَّ الأُلى يَلحونَكِ النُصحَ مِنهُمُ فَما مِنهُم داعٍ لِرُشدٍ وَلا هادِ

وَإِنَّكِ إِن لا تَترُكي ما يُريبُني أُصِبكِ بِشَرٍّ ناجِزٍ غَيرَ أَحقادِ[19]

وعلى الشاكة نفسها يقول في عذلها ولومها :

تُعاتِبُني عِرسي عَلى أَن أُطيعَها لَقَد كَذَبَتها نَفسُها ما تَمَنَّتِ

وَظَلَّت بِأَنّي كُلَّما رَضَيَت بِهِ رَضِيتُ بِهِ يا جَهلَها كَيفَ ظَنَّتِ

وَصاحَبتُها ما لَو صَحِبتُ بِمِثلِهِ عَلى ذُعرِها أُروِيَّةً لاطمَأَنَّتِ

وَقَد غَرَّها مِنّي عَلى الشَيبِ وَالبِلى جُنوني بِها جُنَّت حِيالي وَخُنَّتِ

وَلا ذَنبَ لي قَد قُلتُ في بَدءِ أَمرِنا وَلَو عَلِمَت ما عُلِّمَت ما تَعَيَّتِ

تَشَكّى إِلى جاراتِها وَبَناتِها إِذا لَم تَجِد ذَنباً عَلَينا تَجَنَّتِ

أَلَم تَعلَمي أَنّي إذا خِفتُ جَفوَةً بِمَنزِلَةٍ أَبعَدتُ عَنها مَطِيَّتي

وَإِنّي إذا شَقَّت عَليَّ قَرينَتي ذَهَلتُ وَلَم أَحنِ إذا هِيَ حَنَّتِ[20]

وجدير بالذكر أن الأسلوب الذي اتخذه الشاعر في إظهار شكواه من المرأة، في النصوص الثلاثة الأخيرة الموجهة للمرأة (فاطمة) هو اسلوب اللوم والعذل ، يتجسد من خلاله بنية حوارية تثيرها المرأة اللائمة، بعدها يجدُ الشاعر في حديثها فضاءاً لتفريغ طاقته الشعرية، لاسيما وأن طبيعة الحوار يكون فيه تبادل وجهات النظر سواء بلغ مرحلة الاقناع أم لا21 وأن سمة الحوار لديه مع اللائمة ترتكز على رؤية الشاعر للصور الشعرية المتعدد، متخذاً من تنوع لومه لها قمرةً تلومه على عقد علاقة مع الجارية وتخاف من أن ينفق ماله عليها ويحمّل نَفسه ديوناً تحيل به إلى الفقر، والثانية عَجلَها بأن تأخذ حظها منه متبعةً بذلك نصح الآل وأن رموا بها للهلاك، وفي الثالثة تشكو من عدم طاعتها له فيزداد شكواها منه لصاحباتها وأولادها، وفي حقيقة الأمر أن لومها مبطنٌ بشكوى منه وتحوله لغيرها .

4-1المبحث الثاني: المرأة الحبيبة

وظف أبو الأسود قدراً لا بأس فيه من شعره من أجل المرأة الحبيبة، بمختلف الأدوار التي أدتها في حياته سواء كانت هذه الحبيبة زوجة أو بنتاً أو جارية، وكما هو معلومٌ أن الشعر هو ((لغة الحب ولغة العاطفة فهو يعذب ويحلو بإسم الحبيبة ويرق فتستهوي إليه النفوس إذا كان غزلاً أو نسيباً أكثر منه في سائر الموضوعات الشعرية الأخرى))22 ومن ذلك قوله في جاريةٍ قد اعجبته فعابها أهله وتنقصوها فباعها23 فعيبها أنها كانت حولاء، ولا يرى أبو الأسود أنّ هذا عيبٌ سوى تأخرٌ في العينين، لأن الجمال عنده ليس جمالٌ حسي الذي يصل إليه المعجبون عن طريق النظر والسمع، وهؤلاء هم الغالب، وإنّما الجمال عنده هو الجمال المطلق الذي يتجلى في الأشياء الجميلة24 لذلك لم يكن العيب الذي تحمله الجارية عيباً عنده يعيبها، فهو يدرك أنّها تتصف بأشياءٍ جميلة قد تغطي على حولها، وبذلك يقول :

يَعيبُونَهَا عِندي وَلا عَيبَ عِندَها سِوى أَنَّ في العَينينِ بَعضُ التَّأَخُّرِ

فَإِن يَكُ في العَينَينِ شيءٌ فَإِنَّها مُهَفهَفَةُ الأَعلى رَداحُ المُؤَخَّرِ

قَطُوفٌ إذا تَمشي تَخالُ دِماءَها تَسايَلُ أَو تَبدو لَها بِتَقَطُّرِ

إذا سِمتُها التَقبيلَ أَبدَت تَشامُساً ولينَ كَلامٍ لَم يُشَب بِتَهَذُّرِ[25]

ومن مثل قوله هذا قوله في امرأة اعجبته من بني حنيفة، فخطبها فقبلت، لكن رفض ابن عمها حال دونه ودونها، فكان يتردد على مكانها فنكر عليه أحد إخوانه هذا26 فالعاطفة التي تكمن وراء حبه واعجابه بها تزدادُ ضرامةً وتوهجاً في قلبه، وما قوله (أَقادَتكَها العَينُ اللَجوجُ وَقَد تُري لَكَ العَينُ ما لا تَستَطيعُ لَكَ اليَدُ) إلا بيان على أنّ بداية الحب نظرة ولكنها لم تتحقق ليكتمل معها المعاد ، وبذلك يقول :

لَقَد جَدَّ في سَلمى الشَكاةُ وَلَلَّذي يَقولونَ لَو يَبدو لَكَ الرُشدُ أَرشَدُ

يَقولونَ لا تَمذَل بِعِرضِكَ واصطَنِع مَعادَكَ أَنَّ اليَومَ يَتبَعُهُ غَدُ

وَإِيّاكَ والقَومَ الغِضابَ فَإِنَّهُم بِكُلِّ طَريقٍ حَولَهُم يَتَرَصَّدُ

ثُلامُ وَتُلحى كُلَّ يَومٍ وَلا تُرى عَلى اللَومِ إِلّا حَولَها تَتَرَدَّدُ

أَقادَتكَها العَينُ اللَجوجُ وَقَد تُري لَكَ العَينُ ما لا تَستَطيعُ لَكَ اليَدُ[27]

وأما قوله في إعراضه عن الجاريةٍ التي اشتراها للخدمة ورفضه محاولاتها من التقرب إليه، لا نزعم أنها المرأة الحبيبة له، لكن على ما يبدو أن الحب كان من طرف واحد من الجارية فالإعراض يكون هاجس للمحبة وإن رفض أحد الأطراف، وبذلك يقول :

أَصَلاحُ أَنّي لا أُريدُكِ لِلصِبا فَدَعي التَشَمُّلَ حَولَنا وَتَبَذَّلي

إِنّي أُريدُكِ لِلعَجينِ وَلِلرَّحا وَلِحَملِ قِربَتِنا وَطَبخِ المِرجَلِ

وَإِذا تَرَوَّحَ ضَيفُ أَهلِكِ أَوغَدا فَخُذي لِآخَرَ نَحوَ أَهلِكِ مُقبِلِ[28]

وجديرٌ بالذكر أن منهج أبو الأسود في الحب لا يطلب الشهوة والجسد، بل يطلب حب العاطفة والراحة عند المرأة، ولعل هذا جعله ينفر من زوجاته العاذلات صاحبات الشكوى، ونراه ينظر إلى المرأة بعين الخصوصية، لا يعنيه الجسد وإن حمل عيوباً، وهذا ما وجدناه في نظرته للجارية صاحبة العين الحولاء، ويظهر أنّ نظرة أبو الأسود للمرأة الحبيبة ليست نظرة غزل، فهو يختلف عن باقي الشعراء في نظرته للمرأة الحبيبة، فنراه يعني بالنزعة الإنسانية ذات العاطفة الفياضة في الحب أكثر من الجانب الجسدي للحبيبة .

ولا نرى أن الجمال الأسمى لدى الشاعر الدؤلي هو مُتعة الجسد، بل هو المتعة الضائعة خلف المرأة العاذلة صاحبة الشكوى التي نكدت عليه حياته، ((ولما كانت المرأة مجالاً رحباً للراحة والسعادة، رأينا الشعراء يتمسكون بها ويصرون على التعبير عن متعتهم التي يحصلون عليها بسبب جمالها وإثارتها))[29] وفي ذلك تعبيراً عن وضعه النفسي تجاه المرأة الحبيبة وهروباً من غيرها .

1-5نتائج البحث

- احتلت المرأةُ مكانةً كبيرة في خريطة الشعر العربي عبر عصوره المختلفة، حيث سادت وشرُفت مكانتها، في العصر الجاهلي، وعني الاسلام بها عنايةً كبيرةً فأعطاها حقوقاً لم تعطْ من قبل .
- كانت لشعر أبو الأسود الدُؤلي مكانة جيدة عند جُماع الشعر في العصور الاسلامية الاولى، ولعل مصدر الاهتمام البالغ أنه كان يمثل العصر الاسلامي خير تمثيل، لغةً لا يشبها معرب أو دخيل.
- حياة الشاعر مع المرأة حياةً متذبذبة لا تثبت على شيء وهذا هو ديدن أغلب شعراء عصره، فهو يركز على صورتين بارزتين للمرأة، وهما الشكوى من المرأة والمرأة الحبيبة.
- الشكوى من المرأة يتجسد من خلاله بنية حوارية تثيرها المرأة اللائمة، سواء بلغ الحوار مرحلة الاقناع أم لا، وأن سمة الحوار لديه مع اللائمة ترتكز على رؤية الشاعر للصور الشعرية المتعدد.
- الحب لدى الدُؤلي لا يطلب الشهوة والجسد، بل يطلب حب العاطفة والراحة عند المرأة، ولعل هذا جعله ينفر من زوجاته العاذلات صاحبات الشكوى، مما جعله ينظر للمرأة بعين الخصوصية، لا يعنيه الجسد وإن حمل عيوباً.

1-6الهوامش :

[1] ينظر: محمنا،احمد سليمان محمنا، المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والاسلام، رسالة ماجستير، ص18.
[2] ينظر: الدؤلي، ابي الاسود ، ت:الشيخ محمد حسن آل ياسين، ص10-28 ، وينظر: الاصفهاني، أبو الفرج، ج12، ص216، 217 .
[3] ينظر: قبش، أحمد قبش ،(2023) تاريخ الشعر العربي الحديث ،.ص255 .
[4] ينظر: نفسه، ص255 .
[5] ينظر: ديوانه، ص74 .
[6] ديوانه، ص74- 78 .
[7] ينظر: الهاشمي، د. علي الهاشمي، المرأة في الشعر الجاهلي، ص22 .
[8] ينظر: السويدي، د. سلامة عبدالله، صورة القطا في الشعر الجاهلي والاسلامي، ص164، وينظر: تجور، د. فاطمة تجور،توظيف القطا في نماذج شعر صدر الاسلام والعصر الاموي، ص45 .
[9] نفسه، ص58 .
[10] يقصد بالمعادل الموضوعي: هو محاولة الشاعر ـ أو الأديب بصفة عامة ـ أن يعبر عن عواطفه بخصوص موضوع أو قضية، فلا يرغب في أن يعبر بطريقة عادية، لإيمانه أن الأدب يحفل بالرموز، التي تجعل القضية مثار الاهتمام مطروحة من وراء ستار شفاف، فيتكلم عن موضوع له علاقة شبه بالموضوع المقصود، ينظر : غزوان، عماد غزوان،المعادل الموضوعي مصطلحاً نقدياً ، مجلة الاقلام ، ع9 ،1 سبتمبر 1988 .
[11] عبدالكريم يعقوب، علي عبدالله ،الشكوى من المرأة في شعر الاحوص الانصاري، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية- سلسلة الآداب والعلوم الانسانية، مج23، ع16، 2001، ص138 .
[12] ديوانه، ص79، 80 .
[13] ينظر: ديوانه، ص113 .
[14] ديوانه ، 113ص .
[15] ديوانه، ص131 .
[16] ديوانه ، 131، 132 .
[17] الحارثي، مريم حسين، العاذلة قراءة في شعر الصعاليك من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، رسالة ماجستير، ص408، 409 .
[18] ديوانه، 133، 134 .
[19] ديوانه 135، 136 .
[20] ديوانه، ص137، 138 .
[21] الحارثي، مريم حسين،العاذلة قراءة في شعر الصعاليك من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، ص411.
[22] الهاشمي، د. علي الهاشمي،المرأة في الشعر الجاهلي، ص88 .
[23] ينظر: ديوانه،ص88 .
[24] ينظر: الهاشمي، د. علي الهاشمي،المرأة في الشعر الجاهلي، ص90 .
[25] ديوانه ص110 .
[26] ديوانه ص139 .
[27] ديوانه، ص139 .
[28] ديوانه، ص 172 .
[29] تجور، د. فاطمة تجور،المرأة في الشعر الأموي دراسة، ص305 .

1-7قائمة المصادر

-1 الأصفهاني، أبو الفرج، (ت: 356هـ) (2009) ، الأغاني، تح : إحسان ن عباس وآخرون ، دار صادر بيروت ، لبنان .
-2 قبش، أحمد قبش ،(2023) تاريخ الشعر العربي الحديث ، دار المفكر المعاصر.
-3 الدؤلي ،ديوان أبي الأسود، صنعة ابي سعيد الحسن السكري(ت: 290هـ)، 1998(م- 1418هـ)،ت: الشيخ محمد حسن آل ياسين، منشورات دار ومكتبة الهلال، ط2.
-4 تجور، د.فاطمة تجور ،1999م،المرأة في الشعر الاموي، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
-5 الهاشمي، د. علي الهاشمي،(1960م)، المرأة في الشعر الجاهلي، مطبعة المعارف- بغداد.

1-8الأطاريح والرسائل الجامعية

1. محنا، أحمد سليمان، (2007)، المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والاسلام، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الاسلامية-غزة.

1-9البحوث والمقالات

1. تجور، د. فاطمة تجور،(2015م) ((توظيف القطا فنياً في نماذج شعر صدر الاسلام والعصر الاموي))، مجلة دمشق، مج31، ع1،2، 2015م .
2. الحارثي، مريم حسين،(بلا تاريخ)((العاذلة قراءة في شعر الصعاليك من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي)) مريم حسين الحارثي، رسالة ماجستير، ص408، 409، مجلة البحث العلمي في الآداب، ع20، ج3 .
3. السويدي، د. سلامة عبدالله،(2001م)،((صورة القطا في الشعر الجاهلي والاسلامي)) مجلة مركز الوثائق والدراسات الانسانية، ع13 .
4. عبدالكريم يعقوب، علي عبدالله (،2001م)((الشكوى من المرأة في شعر الاحوص الانصاري)) مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية- سلسلة الآداب والعلوم الانسانية، مج23، ع16.
5. غزوان، عناد غزوان،(1988)،((المعادل الموضوعي مصطلحاً نقدياً))، مجلة الاقلام ، ع9 ،1 سبتمبر .